التأويل صوره وقرائنه

دراسة لغوية من خلال

سورة النحل

أ.د. إبراهيم إبراهيم بركات

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التأويل صوره ، وقرائنه
دراسة لغوية
من خلال سورة «النحل»

الأستاذ الدكتور
إبراهيم إبراهيم بركات

ألقى بالمؤتمر الدولي الثاني
«الاستشراق والدراسات العربية والإسلامية »
جامعة المنيا ـ ٢٠٠٦م

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المقدمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، والصلاةُ والسلامُ على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وتابعيه إلى يوم الدين .

فهذا البحثُ : «التأويل» : صوره ، وقرائنه ، دراسة لغوية من خلال سورة «النحل» ، يهدف إلى تحديد التأويل لغويا واصطلاحيا ، مع التركيزِ على مدلولِه لدى النحاة ؛ حيثُ إنهم قد عمدوا إليه في مواضع كثيرةٍ من دراستهم ، كما يقصدُ إلى ذكر الدوافع التي تؤدي إلى اللجوءِ إلى التأويل ، مع الإشارةِ إلى كثيرٍ من وسائلِه .

ويتتبع البحثُ المواضعَ التي لجأُوا إلى تأويلِها في سورةِ النحل ، واستقرائِها ، وتحليلها ، وبيان جوانب التأويلِ في كل موضع ، محاولًا جمع المواضعِ المشتركةِ لتكونَ صورة، تذكر فيها القرائنُ التي توضحُها وتبينُها، من خلالِ كل موضعٍ .

ولا يمثل اختيار سورةِ النحلِ هدفا معينا ، وإنما هي جزءٌ من القرآنِ الكريمِ الذي أُريد به الدراسةُ الوصفيةُ ، فالاستنتاجيةُ .

وقد استخدمَ البحثُ المنهج الوصفي، مستعينا بالاستقراءِ ، والتحليل، والاستنتاج مع ربط أجزاءِ البحث بعضها بالبعضِ الآخر .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويتوصل هذا البحثُ إلى مقتَرح بنوعيْن من التأويل ، كما يعمدُ إلى اقتراحِ قوانين للتأويل يجبُ أن تراعي ، وكلٌّ مستقًى من نتائج البحثِ التي أودعت في خاتمةٍ له ، هي خلاصتُه وقد ضمت إلى جانب ذلك : أطرافَ التأويل ، وبيانَ العلاقةِ بينها ، ووجوبَ صحتها لفظيا ومعنويا .

ومنه نلحظُ أن البحث قد تضمن: المصطلح، والدوافع إلى التأويل ، ثم دراسة صور التأويل وفرائضها ، وقد ضمت : التأويل المعجمي ، وتأويل مبني الكلمة ، والتأويل التركيبي ، والتأويل السياقي ، والتأويل الوظيفي للحرف ، والتأويل والقراءات . ثم خاتمة البحث .

وقد زاوج البحث بين المصادر القرآنية، وبخاصة ما يهتم منها بالتحليل النحوي ، كالكشاف للزمخشري ، والبحر المحيط لأبي حيان ، والدر المصون للسمين البعلي ، وكتب التراث النحوي ، وعلى رأسِها : كتابُ سيبويه ، والمقتضبُ للمبرد ، وشرحُ المفصل لابن يعيش ، إلى جانبِ المصادرِ والمراجعِ المثبتةِ في الهوامش ، وفي نهاية البحث .

والله أسألُ أن يجعلَ هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم ، ونقطةَ تحفيزٍ للباحثين والدارسين .

إبراهيم إبراهيم بركات

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المصطلح

التأويل ـ معجميا ـ يعني : الرجوع[١] ، والتفسيرَ والبيان[٢] ، والتدبيرَ والتقدير[٣] ، والإصلاحَ والجمع ، والتحري والطلب .

نتوسمُ في المدلولاتِ السابقةِ جميعها معنى الرجوع والعودِ إلى الأصلِ ، أو محاولة ذلك ، فالتأويلُ يهدفُ إلى إعادةِ الظاهرِ إلى ما يمكنُ أن يخفَى ، وهو أصلُ الشيء ، ويتطلب هذا تدبرًا وتقديرًا ، وإصلاحًا وجمعًا ، وجمعًا وتحريًا ، ويحتاجُ أخيرًا إلى تفسير وبيانٍ .

فكل المعاني السابقة تتضامنُ لتبرزَ معنى التأويلِ ، ووسائلَه .

التأويلُ . نحويا . :

لم يتعرض النحاةُ الأوائِلُ للتأويلِ ـ مصطلحًا له حدودُه ـ ولكنهم استخدموا مفهومَه في معالجةِ الظواهرِ التي عرضت لهم ؛فكانت مخالفةً للقواعد المطردةِ التي وضعُوها ، وأثبتُوها ، فكانوا يحاولون أن يفسروها أو يوضحوها؛ليصلُوا بها إلى درجةِ الإصلاحِ فالصلاحِ،وذلك بالاستعانة بمفهوم من معاني التأويلِ السابقةِ ، وكلها تكمنُ في إعادةِ الظاهرِ الذي يبدُو مخالفًا إلى ما يمكنُ أن يَخفى ، فيصلحُ به ، ويجعلُه متوافقًا .

---

(١) تهذيب اللغة ، ولسان العرب : مادة (أول) .
(٢) لسان العلاب ، والصحاح : مادة (أول) .
(٣) أساس البلاغة ، ولسان العرب : (أول) .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ونجد هذا المعنى مذكورًا عند أحدِ الباحثينَ في قولِه : « هو صرفُ الكلامِ عن ظاهرِه إلى وجوه خفية ، تحتاج لتقدير وتدبرٍ ، وأن النحاة قد قد أوَّلوا الكلامَ وصرفُوه ؛ لكي يوافقَ قوانين النحوِ وأحكامَه »[(١)] .

ولكن عمل النحاةِ لم يكنْ كذلك ، وإنما كان محاولةً منهم لتوفيق بين المنطوقِ وما يمكن أن يكونَ من معانٍ خفيةٍ مقصودة في التركيبِ ، سواءٌ أكانَ موضعُ التأويلِ يمكنُ أن نحصرهُ في « إعادة الظاهرِ من التركيبِ إلى ما يمكنُ أن يخفي ؛ بهدفِ إزالةِ جوانبِ المخالفةِ أو الالتباسِ ، أو بيان جوانبَ دلاليةٍ أو تركيبيةٍ خفيةٍ » . والتأويلُ بمفهومِه هذا يتداخلُ مع مصطلحاتٍ أخرى تدورُ في تحليل التركيبِ ، أو الجملة ، منها : التقديرُ ، والوجهُ الإعرابي ، والحملُ على المعنى ... إلخ .

بادئ ذي بدءٍ يجبُ أن نشيرَ إلى أن التأويلَ في الكلامِ إنما هو توافقٌ بينَ الملفوظِ به ـ بشكلِه النطقي ، أو توجيهِه الإعرابي ـ وما يُفهم منه من معنى متسق مع هذا التحليل اللفظي .

فالتأويلُ في كل جوانبِه وشمولِه يتضمنُ كل هذه المصطلحاتِ،ويمكنُ أن نجعلها وسائل مساعدة على صحةِ التأويل،فأنت عندما تُؤَولُ تلجأُ إلى استخدام طرقٍ كثيرةٍ من أصولِ النحو ؛ كي توضح العلاقةَ بين التفسيرِ اللفظي والمفهوم المعنوي ، بل إنك قد تلجأ إلى استخدامِ مفهوماتٍ العلومِ الأخرى؛ لذا فإن المؤوِلَ يستخدمُ كل هذه المصطلحاتِ ، وكلُّها مباحةٌ وساحةٌ للتأويل ، كما أن التأويلَ يساعدُ على توضيحِها .

---

(١) أصول النحو العربي ١٨٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

العواملُ التي تُلْجئُ إلى التأويلِ :

أولا : اضطراب العلاقات اللفظية والمعنوية بين العناصر اللللفظية للجملة :

لاشك في أن العلاقةَ بين عناصرِ الجملةِ أو التركيبِ يجبُ أن تكونَ متسقةً ، وتكونُ هذه العلاقةُ إما كلية ؛ فيخضعُ لها كلُّ الكلماتِ ، وإما جزئيةً ؛ فتكون بين عنصرَيْن أو أكثر .

إذا اضطرَبَتْ هذه العلاقاتُ ، أو تخالفَتْ ؛ فإنه لابد أن يلجأ إلى التأويل ؛ لمحاولة إصلاح الخط الدلالي واللفظي بين المضطربات ، أو المتخالفاتِ .

ومن مواضعِ التخالف : العدد ، مخالفة الضمير لمرجعه في الجنس ، أو العقل، الاسم ودلالته على عاقل أو غير عاقل (ما ومن)، الفعل الماضي في سياق الاستقبال،المصدر ودلالته على الذوات،الموقع الإعرابي المتخالف لكلمة واحدة ، أو كلمتين في موقع واحد في سياقين متماثلين ، القراءات .

أما التأويلُ في الدراساتِ النحوية بسببِ المخالفةِ فمواضعُه عديدة ، ويُزْكيه الخلافُ بين المدارس النحوية المتعددة .

وعندما لا يستطاعُ التعليلُ والتأويلُ للمخالفة فإنه يلجأ إلى التبرير بالضرورةِ ، أو الشذوذ .

ثانيا : تعدد العلاقةِ بين جزءِ من أجزاءِ التركيبِ وسائرِ أجزائهِ ، أي صحة علاقةِ عنصر ما،أوجزء ما، بعدةِ عناصرَ من التركيب أو أجزاءِ منه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نحو : صحة العطف على أكثر من معطوف عليه ، مع اختلافِ الموقع الإعرابي لكل منها ، صحة علاقة الضمير العائد بأكثر من مرجع .....

ثالثا : صحة العلاقة الإعرابية الواحدة مع التصرفِ في الموقعِ الإعرابي للفظة الواحدةِ بالنظر إلى علاقتِها بلفظةِ أخرى ، أو علاقتِها بأجزاء التركيبِ .

رابعا : تعدد معنى الحرف ، أو الأداة ذات الوظيفة النحوية ، وجواز أكثر من معنى له ، أو مدلول له ، مع سائر التركيب .

خامسا : تعدد المعنى المعجمي للفظة ، وصحة استخدام أكثر من معنى مع سائر أجزاء التركيب .

سادسا : عدم التوافق بين مبني اللفظ وما وضع له من دلالة في الجملة أو السياق .

سابعا : طبيعة مدلول الكلمة أنه غير نهائي ، فيصلح تأويله مرتبطا بعناصر لفظية عديدة في التركيب ، أو الجملة ، مثل كلمة (شيء) .

ثامنا:تأويل المعنى الذي يؤدي إلى تأول في الموقع الإعرابي . والعكس.

تاسعا : العلاقة اللفظية بين الفعل وما يتعدى إليه . (نزع الخافض) .

أما وسائُل التأويل فقد ذكرها د. محمد عبد القادر هنادي ، وتنحصر في بحثه على [1] : التقدير ، التقديم ، التأخير ، الاعتراض ، الزيادة ، الحذف، الإدغام، الإتباع، الشبيه، التناسب، الإشباع، الحمل على المعنى، التوهم .

(١) ظاهرة التأويل في إعراب القرآن الكريم ٣٩٥ ، ٣٩٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جوانب التأويل صورُه ، وقرائُنها :

في هذا القسمِ من البحثِ ـ وهو أساسُه ـ نعرضُ التأويلَ في جوانبِه المخالفة ، ذات الصورِ المتعددةِ ، وفي كل صورةٍ تتناثرُ قرائُنها الدالةُ عليها، والمفسرةُ لها ، وكلُّ ذلك محدودٌ بحدودِ موضعِ الدراسة ـ سورةالنحل ـ .

وقد ذكرنا أن التأويلَ إنما يَكونُ في عنصرٍ واحدٍ من عناصر التركيبِ اللفظيةِ ، أو أكثرَ ، بالنظرِ إلى عنصر آخر متسقٍ مع السياقِ والتركيبِ ، أو أكثر ، هذا يدلنا على أن التأويل في التركيبِ والسياقِ يكونُ على درجاتٍ ، تختلفُ باختلافِ مدى مساحةِ المؤولِ بسائرِ عناصرِ التركيب .

وتكون هذه الدرجاتُ للتأويلِ جهاتٍ ، تختلف بين اللفظة والتركيب والدلالة .... إلخ ، وكلِّ جهة يجعلُها البحث صورة للتأويلِ ، محاولةً لكبحِ جموحِ مواضعِ التأويلِ من خلالِ حصرِها وتجميعها في هذه الصور .

وتتعددُ مواضعُ التأويلِ التي جعلها البحثُ قرائنَ لصورهِ تعددًا ، والمكونةِ لجوانبِه المختلفةِ ، والتي يمكنُ حصرُها وتركيزُها في ست صورٍ ، هي :

ـ التأويل ومبني الكلمة . (التأويل الصرفي) .

ـ التأويل والتركيب .

ـ التأويل المعجمي .

ـ التأويل الوظيفي للحرفِ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ـ التأويلُ والسياق .

التأويلُ والقراءات .

وعلينا أن نعترف بأن الفصلَ بين الصورِ السابقةِ لا يكادُ يكونُ حاسمًا ؛ بل إن هناك تداخلًا بينها حين معالجةِ القرائن ، فقد يعالجُ موضعٌ في مبْنى الكلمةِ ؛ لكن يستخدمُ في معالجته جانبٌ آخر أوْ أكثُر ، وما التقسيمُ السابقُ إلا محاولةٌ لحصرِ معالجة مواضعِ التأويلِ في سورة (النحل) ؛ كي يمكن معالجتُها في صورٍ محدودةٍ .

ونفصلُ القولَ والقرائَن والصورَ في الجوانبِ اللغوية ، ملتزمين بحدُودِ الدراسة .

أولا : التأويلُ ومبنى الكلمة :

قد يحدثُ التأويل للمواءمة بين مفهومِ مبنى الكلمةِ والعناصر اللفظية الأخرى للسياق.

فقد يؤولُ مبنى الكلمةِ لصلاحيته لعدةِ جهاتٍ معنوية صرفية ، وقد يؤول لانعدام هذه الصلاحية .

وقد يُطوَّعُ مدلولُ المبنى ليتلاءمَ مع السياقِ ، أو لمواءمةِ الأحداثِ الجارية له .

وقد يكونُ التأويلُ لكي تكون الكلمةُ صالحةً لتضمين ما ارتبطتْ به .

وقد يكونُ بسبب محاولة التوفيقِ بين المبنى المذكور المرتبِط بمبنى آخر في الجملةِ ، مع صحةِ المواءمةِ في المدلولِ المقترحِ ، وذلك من طريق :

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تحوير المبنى ، التضمين ، أو الحذف ، أو هما معا .

أ ـ تأويل صاحب الحال تبعًا لصحةِ السياقِ وتأويل مبنى الكلمة :

في قوله تعالى : ﴿فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾ [النحل:٦٩] .

نجد فيه أن (ذللا) جمع (ذلول) ، وهي : من الطاعة والانقياد ، أو السهل ، أو الممهد[(١)] ... ، وذُلُلًا في موقعها حالٌ منصوبة ، لكن صاحَبها يمكن أن يؤول تبعا لمعنى السياق وتأويل مبنى الكلمة على وجهيْن :

أولهما : وزن (ذُلُل) هو (فُعُل) ، جمع (فعُول) ، بمعنى (فاعل) ، فذُلُل جمع (ذَلول) بمعنى (ذَالّ) . اسم فاعل ، وبذلك يكون صاحبُ الحالِ ضميرَ المخاطبة الفاعل في (اسلكي) ، ويكون المعنى من الطاعةِ والانقياد، أي تسلك النحلُ مطيعة منقادةً .

والآخر : أن يكون (ذُلُل) جمعًا لـ (ذليل) ، على مثال (فَعِيل) بمعنى مفعول ، فهو اسمُ مفعول بمعنى مذلول ، مثل (جُدُد) جمع (جد) بمعنى (مجدود) ، اسمُ مفعول . ويكون صاحبُ الحال (سبلا) ، ويكون المعنى من السهل والانقياد ، أو الممهد ، فالسبل مذلولةٌ منقادةٌ للنحل ، أو كما يقال : ذَلَّتْ له القوافي ، فهي ذلول ، فكأن السبلَ ذَلَّتْ للنحل بأمر الله ـ تعالى ـ ، فهي ذُلُلٌ لها ، وتكون اسمَ فاعل . أو : الطرقَ ممهدةٌ للنحل ، فتكون اسمَ مفعولٍ .

ب ـ تأويلُ ماهية المدلول لتناسب الدالة من خلال السياق :

قوله تعالى : ﴿ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ ﴾ [النحل:١٧] ، فيه الاسمُ

(١) ينظر : لسان العرب ، والقاموس المحيط : (ذلل) .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الموصولُ (مَنْ) الثاني ، من قوله (مَنْ لا يخلق) ، دالٌ على العاقل ، لكنه أطلق على جميع ما عُبِدَ من دون الله ، وكثيرٌ منهم أصنام غيرُ عاقلة ، ويؤول ذلك بما يأتي :

ـ اعتقاد المشركين أن هذه الأصنام تضر ، وتنفع ، وتتقبلُ القرابين ، فصيَّروها ، وهي غيرُ عاقلة ، مجرى أُولى العلمِ والعقل .

ـ أو للمشاكلةِ بين هؤلاء ومَنْ يخلق ، وفيه تأويلاتٌ أخرى[(١)] ، أهمها : تغليبُ مَنْ يعقلُ على ما لا يعقلُ ، والعاقلُ يغلبُ على غيرِه .

جـ ـــــ التوفيقُ بين بنية اللفظ والسياق من خلال التأويل :

في قوله ـ تعالى ـ : ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ﴾ [النحل:١][(٢)] ؛ نجد أن الفعل (أتى) ماض ، وهذه البنيةُ لا تتفقُ مع السياق ، إذ المرادُ به يومُ القيامة ، فلا يتم التوافقُ بين البنيةِ والسياقِ ، حيثُ التعارضُ بين الزمنِ الماضي في (أتى) والمستقبلِ في أمرِ الله ـ تعالى ـ بيوم القيامة ؛ ولذلك فإن فيه تأويلَيْن :

أولهما : أنه ماضٍ لفظا ومستقبلٌ معنى ، وإنما جاء في بنية الماضي ليكون في صورة ما وقع وانقضى تحقيقا ، وصدقًا لما أخبر به ، وهذا يتلاءم مع عِلم اللهِ ـ سبحانه وتعالى ـ وقدرته من قبيل تأكيد وقوع الحدثِ .

والآخر: أنه ماضٍ لفظا ومعنى ، والمرادُ به مقدماتُ هذا اليوم وأوائلُه[(٣)]، وهو نصرُ رسولِه ـ ﷺ ـ فكان ذلك توافقًا مع الأحداثِ التي جَرَتْ ،

(١، ٢) يرجع إلى : الدر المصون ٤ ـ ٣١٩ .

(٣) الدر المصون ٤ ـ ٣١١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويكون ذلك خارجًا من نطاقِ التأويلِ .

د ـ تأويلُ المصدر مع صحة السياق ليتضمنَ ما ارتبط به :

المصدرُ ـ وهو اسمٌ جامد ، سواء أكان أصلَ المشتقاتِ أم غيرَ ذلك، يكون مجالا للتأويلِ الواسعِ في التركيبِ ؛ حيث يتطلب السياقُ ذلك ، كما أن قوانينَ التركيبِ ـ وهي منطقيةٌ معقولة ـ تتطلبُ ذلك.

ففي قولِه ـ تعالى ـ : ﴿فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ﴾[النحل:٧٥] ، يؤول المصدران (سرا وجهرا) إعرابيا على نحوين :

أولهما : أن ينصبا على المصدرية ، أو النيابة عن المفعول المطلق ، ويكونُ التقديرُ : إنفاق سِرٍّ وجهر .

والآخر : أن يكونا مصدَرَيْن واقعيْن موقعَ الحال ، أو مؤولين بالمشتق ، والتقدير : .... سارًّا وجاهرا . ولنا في وقوعِ المصدرِ حالًا رأيٌ .

والذي أجاز هذا التأويل صحةُ مدلولات بعضِ عناصر التركيب مع كل تأويل ، فمبنى الفعل يتلاءمُ مع التأويلِ الأول ، حيث إن الفعل يتضمن في مبناه المصدرَ ، وهو ما يتلاءم مع المصدرية المذكورة .

أما في التأويل الثاني فقد طُوِّع مبنى المصدر ليتلاءمَ مع الفاعلِ ، وهو اسمٌ ، يجب أن يُتضمنَ في صفته الواقعة حالًا ، وهذا أدى إلى تأويل المصدر بالمشتق .

فكل من التأويليْين يتضمنُ صاحبَه الذي ارتبط به .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والتأويلُ ينحرفُ قليلًا عن التأويلِ السابقِ في قوله ـ تعالى ـ : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل:٨٩] .

حيث يؤول الموقعُ الإعرابي للمصدرِ المنصوب (تبيانا) في هذا السياق على وجهيْن :

أولهما : أن يكون مصدرًا واقعًا موقع الحالِ ، أو أنها حالٌ مؤولةٌ بالمشتق ـ كما ذُكر في سابقهِ ـ ، ويكون التقديرُ ، .. مُبَيِّنا لكل شيء .

أما الآخر : فإنه يكون مفعولًا لأجله ، حيثُ يتطلبُ السياقُ ذلك ، والتقديرُ : نزلنا .. لنبينَ كلَّ شيء . وتتوافر في هذا المصدرِ في موقعه من التركيبِ شروط نصبِ المفعولِ السببي .

وكلٌ من التأويليْن يتضامنُ مع ما ارتبط به ، حيثُ ارتباطُ المصدرِ في التأويل الأول باسم (الكتاب) ، في حال بيان هيئة له ، فكان تحوير المبنى ليتضمن الاسم ، حيث يؤول بصفةٍ مشتقةٍ .

أما في التأويل الثاني فإن كلَّ شروطِ التركيبِ متوافرةٌ ، والعلاقةُ المعنويةُ المتمثلةُ في السببية ـ أو التعليلية ـ معقولةٌ وموائمةٌ للسياق .

وفي قوله تعالى : ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [النحل:٤١] ، نتلمس في الاسم المنصوبِ (حسنة) في هذه الجملةِ معنى المصدريةِ على تأويلين :

أولهما : أن يكون التقدير : لنحسنَنَّ إليهم في الدنيا حسنةً ، وبذلك يكونْ (حسنة) مصدرًا ملاقيا لعامله (نبوئ) في المعنى ، فينصبُ على المصدرِ الملاقي لعاملِه .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والآخر : أن يكون التقديرُ : ... مباءةً حسنةً ، ثم حُذفَ (مباءة) ، ونابَ عنه صفتُه ، فينصب (حسنة) على أنها نائبٌ عن المفعولِ المطلق ، حيث إنها صفةٌ لمصدرٍ محذوف .

وفي التركيب تأويلُ آخر ، تقديره : لَنُعطِيَنَّهم في الدُّنْيا منزلةً حسنةً ، فيتضمنُ الفعلُ (نبوئ) معنى الإعطاء ، وهو ينصبُ مفعولين : أولُـهما : ضميرُ الغائبين (هم) ، والآخر : يكون محذوفًا نابَ عنه صفتُه (حسنة) ، فتنصب على أنها مفعولٌ ثان دون أن تكون صفةً لمحذوفٍ نابَ منابَه .

تلحظ أن التأويلَ كان بسببِ محاولةِ المواءمةِ بين مبنى الكلمتين: نبوئ، وحسنة ، مع تلاقي معنى ما أُول إليه كلٌّ منهما إلى الآخرِ . فأدى ذلك إلى: تضمينِ الفعلِ معنى آخر في التأويلِ الأولِ ، والجمعُ بين التضمين وتقديرِ محذوفٍ قبلَ الصفةِ المرتبطةِ بالعناصرِ اللفظية في التأويلِ الثالث .

أما في التقديرِ الثاني فكان التأويلُ عن طريقِ تقديرِ محذوفٍ من لفظِ الفعلِ ، فيتواءَمَان ، ويصح التركيب والارتباطُ المعنوي .

هـ ـ قد يكونُ التأويلُ بسببِ طبيعةِ مدلولِ (شيءٍ) ، حيثُ صحةُ وقوعِه على كل ماهيةٍ أو مدلولٍ ، وحينئذٍ تؤولُ معنويا وإعرابيا حسب السياقِ التي ذكرت فيه ، أو بحسبِ علاقتِها بالعناصرِ اللفظيةِ في الجملةِ .

من ذلك قولُه ـ تعالى ـ : ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ٧٣﴾ [النحل] . حيث يؤولُ معنى (شيء) في التركيب ، وبالتالي يؤُولُ موقعُها الإعرابي ، على النحوِ الآتي :

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ـ أن يقدرَ السياقُ ، لا يملك لهم ملكا ، أي شيئا من الملك ، وعليه فإنه يكون منصوبا على المصدرية ، أو : نيابةً عن المفعولِ المطلق .

ـ أن يكون التقديرُ : لا يملك لهم شيئًا ، فيكون منصوبًا على أنه بدلٌ من رزق .

ـ أن ينصب (شيئا) بـ (رزقا) على أنه اسمُ مصدر ، عند من يُعملُ اسمَ المصدر ، أو على أنه مصدرٌ ، عند مَنْ يجعله مصدرًا .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴾ [النحل:٧٨] ، يؤول معنى (شيئا) وإعرابه على وجهين :

ـ أن يكون التقديرُ : لا تعلمون شيئًا من العلم ، فيكون منصوبًا على المصدرية .

ـ أو يكون: لا تعلمون أخبارًا أو غيبًا أو ... ، فيكون (شيئا) مفعولا به.

ثانيا : التأويل والتركيب :

تختلفُ صورُ التأويلِ في التركيب، حيث يقصد به الجملة ، سواء أكانت تامة أم متعلقة، وقد يكون التأويلُ التركيبي في جزءٍ من أجزائه ، أو جانب من جوانبه ، ويؤثر ذلك في جوانب أخرى من التركيبِ ، حيثُ التركيبُ بكل عناصرِه اللفظية كلٌّ متكاملٌ ، يُؤَثرُ كلٌّ عنصرٍ في سائرِ العناصر .

ومن صورِ التأويلِ في التركيبِ أو جزءٍ منه مرتبط بسائرِ أجزائه :

ـ التأويل في الموقعِ الإعرابي لعنصر لفظي طبقا لتأويلِ ما عطف عليه ،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أو لتقدير محذوفٍ، أو لتأويلِ ما عطف عليه، أو لتقدير محذوفٍ، أو لتأويلِ المعنى ، واحتمالِه ذلك .

ـ التأويل بإسقاطِ الخافض .

ـ التأويل للتوفيق بين المتخالفيْن عددًا .

ـ وتأويل التركيبِ بين الخبرِ والاستفهام .

أ ــ التأويل في الموقع الإعرابي :

يتخذ التأويلُ في الموقعِ صورًا تختلف باختلافِ العلاقةِ الصحيحةِ ـ معنويا ولفظيا ـ لجزء من أجزائِه بسائرِ الأجزاء الأخرى .

ويمكن أن نستنتج بعض هذه الصورِ من خلالِ سورةِ النحل في القسم الآتي من هذا البحث :

١ ــ تأويل الموقعِ الإعرابي طبقًا لتأويلِ ما عُطِفَ عليه .

ـ قوله تعالى : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [النحل] . نجد فيه أن (هدى) و(بشرى) قد سبقتا بالواو ، ويؤولُ موقعُهما الإعرابي تبعًا لصحةِ ربطِها بما سبقها باحتسابِ هذه الواوِ ، حيث يكونان :

ـ في موضعِ نصبٍ ، بالعطف على محل (ليثبت) ، فيكونان مفعولَيْن له . والتقدير : نزله روح القدس تثبيتًا وهدًى وبشرى .....

ـ في موضع جر ، بالعطفِ على المصدرِ المؤول (أن يثبت) ، ويكون

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التقديرُ : ... لتثبيت وهداية وتبشير ... [١] .

ـ وقدرهما أبو البقاءِ خبرًا لمبتدإٍ محذوف ، والتقديرُ : وهو هدى وبشرى ... ، والجملة في محل نصب ، حال [٢] .

ـ لكنني أرى أنه يجوز أن ينصب بالعطفِ على موضعِ شبهِ الجملةِ (بالحق) ، وهي حال ، فيكونان مصدَرَيْن واقعين موقع الحال ، ويكون التقديرُ ... ملتبسًا بالحق وهاديًا ومبشرًا .

٢ ـ تأويل الموقع الإعرابي لما له علامةٌ إعرابيةٌ واحدة :

ـ في قولِه تعالى : ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ [النحل:٨] .

نجد أن (زينة) منصوبةٌ ، ويؤولُ نصبُها إلى عدة أوجه :

ـ المصدرية لفعل محذوف ، والتقدير : وتتزينون زينة .

ـ الحالية : حيث إنه مصدرٌ أُقيم مقامَ الحال، وصاحبُها الضميرُ المفعولُ في (خَلَقَها)، والتقدير : خلقها زينةً لكم ، أو الضمير المفعول في (لتركبوها)، والتقدير : ولتركبُوها زينةً [٣] .

ـ المفعولية : والفعلُ محذوفٌ ، تقديرُه : (خلق) عند الزمخشري [٤] ، والتقدير : وخلقها زينةً ، وتقديرُه (جعل) عند ابن عطية [٥] ، والتقدير : وجعلها زينةً .

---

(١) ينظر البحر المحيط ٥ ـ ٥٣٦ .
(٢) ينظر : الدر المصون ٤ ـ ٣٥٨ .
(٣) ينظر :الدر المصون ٤ ـ ٣١٤ .
(٤) ينظر : الكشاف ٢ ـ ٥٢٠ .
(٥) ينظر : المحرر الوجيز ٨ ـ ٣٧٤ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ـ أنه مفعول لأجله، أي: أنه معطوف على موضع (لتركبوها) ، ونصب (زينة) لتوافر شروط نصبه ، حيث إنه : مصدرٌ قلبي اتفق مع عاملِه في الزمنِ والفاعليةِ ، وليس من لفظِهِ ، لكن (الركوب) لم ينصبْ للاختلاف مع عاملِه في الفاعلية،حيث الخالق هو الله تعالى،والراكبون هم المخلوقون. ومثل ذلك قولُه : ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[النحل] ، حيثُ التبيينُ يختلف مع الإنزالِ في الفاعليةِ ، ففاعلُ التبيين هو الرسولُ ـ ﷺ ـ ، وفاعلُ الإنزالِ هو اللهُ تعالى ، فلم يكنْ (لتبينَ) مصدرًا منصوبًا ، وكان (هدى ورحمة) مصدريْن منصوبيْن ، ويمكن أن نتأول فيهما الأوجهَ الإعرابيةَ السابقة .

ـ أما في قولِه تعالى ـ : ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ﴾ [النحل:٥] .

فإن (الأنعام) فيه منصوبٌ ، ويؤول النصبُ إلى تأويلين :

أولهما: أن ينصبَ على الاشتغالِ ، فيقدرُ فعلٌ محذوفٌ من الفعل الموجود ، والتقديرُ : خلق الأنعام ... ، ويكون الأنعام مفعولًا به لفعلٍ محذوف ، وتتوافرُ فيها كل شروط الاشتغال .

والآخر : أن ينصب بالعطف على (الإنسان) في قولِه تعالى ـ : ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ [النحل:٤] .

ـ ومثلُ ذلك في توجيهِ العلامةِ الإعرابيةِ المذكورةِ طبقا لتأويلِ الموقعِ الإعرابي قولُه تعالى : ﴿ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا ﴾ [النحل:٣٨] ، حيث يؤولُ نصبُ (وعدًا) و (حقا) إلى :

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ـ أن يكون كلٌّ منهما مصدرًا مؤكِّدًا لفعلِه المحذوف ، والتقديرُ : وعد وعدا ، وحق حقا .

ـ أن يكونَ (وعدا) مصدرًا مؤكدًا لفعلِه المحذوفِ ، لكن (حقا) يكونُ نعتًا له .

٣ ـ تأويلُ الموقعِ الإعرابي حسب تأويلِ المعنى :

ـ قولُه تعالى : ﴿فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾ [النحل:٦٩] ، فيه (سبل) منصوبةٌ، لكنها بالنظرِ إلى الفعلِ (اسلك) يؤولُ نصبُها إلى تأويلَيْن :

أولُهما : على الظرفية ، ويكونُ التقديرُ : اسلكي ما أكلْتِ في سُبُلِ ربِّك، أي : في مسالِكه التي يحيلُ فيها بقدرتِه النَّوْرَ ونحوه عسلًا[(١)] ، ذلك لأن السُّبلَ وهي الطرق ـ فيها معنى الظرفية .

والآخر : على المفعولية ، والتقديرُ : اسلُكي السُّبلَ التي وهبكِ الله إيّاها في عملِ العسلِ .

ومنه قولُه ـ تعالى ـ : ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا﴾ [النحل:٩٢] فيه (دخلًا) منصوبة ، لكن توجيهَ نصبِها يمكنُ أن يؤول تبعا لمعناها المؤولِ ، وذلكَ على وجهين :

أولُهما : أن يكونَ الدخل مقصودًا به الفسادُ والدغل، فيكون مصدرًا، وحينئذ يعرب مفعولًا لأجله ، والتقديرُ : تتخذون أيمانَكم لتُفسِدوا ما بينكم .

---

(١) ينظر : الدر المصون ٤ ـ ٣٤٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والآخر : أن يُقصدُ بالدَخَلِ الداخلُ في الشيء ، وليس منه[١] ، فيكون مفعولًا به ثانيا .

ب ـ التأويلُ بإسقاطِ الخافض :

قولُه ـ تعالى ـ : ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [النحل:٦٢] .

يؤول المصدرُ المؤولُ من حيثُ السياقُ بما يأتي :

ـ أنه قد يكون بدلًا من الكذب ، حيث يكون كذِبُهم متمثلًا في أن لهم الحُسْنى ، فيجوزُ وضعُ كلٍّ منهما موضعَ الآخر .

ـ أنه قد ينصب على نزع الخافض ، أو يجر باعتباره مقدرا موجودا ، أي: بأَنَ لهم الحسنى ...

جـ ـ التأويل للتوفيق بين المتخالفين :

قد يلْجأُ إلى التأويلِ للتوفيق بين المتخالفيْن في العدد ، وهما عائدان إلى مرجع واحد ، ففي قولِه ـ تعالى : ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل] .

نجد أن اسم الشرطِ أو الاسمَ الموصولَ المبتدأَ (من) هو محورُ الحديث ، والضمائرُ التي عادت عليه ؛ وهي : الضميرُ المستتر (هو) فاعل عمل ، هو مؤمن ، الضمير المتصل (هاء الغائب) في (لنحيينه) كلها مفردة ، ولكن الضمائر التي عادت عليه بعد ذلك جاءت دالة على الجمع ، وهي : ضمير

(١) ينظر : لسان العرب ، القاموس المحيط : (دخل) .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الغائبين (هم) في لنجزينهم ، وفي أجرهم ، وواو الجماعة في (كانوا ، يعملون) ، ويؤولُ ذلك بأن الضمائر التي جاءت مفردة راعت لفظ (من)، وهو الإفراد ، أما التي جاءت مجموعة فقد راعت معنى (من) ، وهو الجمع .

لكنه يلاحظ أن الضمائر التي ذكرت مفردة كانت أثناء الحديث عن الحياة الدنيا ، وتتضمن معاني العمل الصالح ، والإيمان ، والحياة الطيبة ، وعندما كان الحديث عن المرجع في الآخرة استخدم ضمائر الجمع ، وذلك من خلال معاني الجزاء والأجر وما ارتبط بهما من العمل في الدنيا .

ومثلُ التأويلِ للتوفيقِ بين المتخالفين عددًا يبدُو في قوله تعالى : ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا﴾ [النحل:٨٠] ، حيث (بيوت) جمع ، ولكن ما ارتبط به من معنى مخبر به عنه مفرد ، وهو (سكن) ، ويؤول ذلك على وجهين[(١)] :

أولهما : أن (سكنا) بمعنى ما يسكنون فيه ، قاله أبو البقاء[(٢)] ، فكان مفردًا باعتبار اللفظ .

والآخر : أنه في الأصل مصدرٌ ، وإليه ذهبَ ابن عطية[(٣)] ولذلك وُحِّد، ومنع ذلك أبو حيان[(٤)] وقد احتج إلى مثل هذا التأويل في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقٗا

(١) ينظر : الدر المصون ٤ ـ ٣٥١ .
(٢) ينظر : التبيان في إعراب القرآن ٢ ـ ٨٠٤ .
(٣) ينظر : المحرر الوجيز ٨ ـ ٤٨١ .
(٤) البحر المحيط ٦ ـ ٥٧٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُونَ ﴾ [النحل:٧٥] .

حيث واوُ الجماعة الضميرُ الفاعلُ في (يستوون) يعود على اثنين ، هما : عبد مملوك ، ومن رزقناه ... ، فعاد ضميرُ الجمعِ على اثنيْن ، ويؤولُ ذلك بما يأتي :

ـ المراد بعبد جنس العبيد ، والمراد بمن رزقناه جنسُ الأحرار ، لذلك كان العائدْ على الجنسَيْن ضمير جمع .

ـ أو أن المراد بالأول جنسُ الفقراء ، وبالثاني جنسُ الأغنياء ، فلذلك كان العائدُ جمعا .

ـ أو باعتبار مراعاةِ لفظ (مَنْ) ، وهو الإفرادُ في ضميرِ الغائبِ الهاء من (رزقناه) ، ثم مراعاة معناها ، وهو الجمع فيما بعد .

ومن التأويل الذي يرجع إليه للخلاف العددي بين اسمين ما ذكر في قولهِ تعالى : ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [النحل:٩٤] ، حيثُ إفرادُ (قدم) ، وتنكيرُها ، مع عودتِها إلى مجموعٍ ، يتمثلُ في واوِ الجماعةِ من (لا تتخذوا)، وضميرُ المخاطبين في (أيمانكم ، بينكم) ، وعودُ واوِ الجماعةِ في (تذوقوا) وضمير المخاطبين في (صددتم) على أصحابِها ، وهما مذكوران بعدَها ، ويؤول ذلك بما يأتي[1] :

(١) ينظر : الدر المصون ٤ ـ ٣٥٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ـ جعل زللِ قدم واحدةٍ عن طريق الحق بعد ثبوتها عليه أمرًا عظيما ، فكيف بزللِ أقدامٍ كثيرةٍ تتمثل في الجمعِ المذكور ؟

ـ ذكر أبو حيان:«الجمعْ تارةً يُلحظُ فيه المجموع، من حيث هو مجموع، وتارةً يلحظُ فيه كلُّ فرد ، فإذا لوحظ فيه المجموع كان الإسناد فيه معتبرا الجمعية ، وإذا لوحظ فيه كل فرد كان الاسنادُ مطابقًا للفظِ الجمعِ كثيرًا ، فيجمعُ ما أسند إليه،ومطابقًا لكل فرد، فيفرد، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ﴾ [يوسف:٣١] أفرد متكأ ، لما كان لوحظ في قوله : (لهن) معنى لكل واحدة ، ولو جاء مرادا به الجمعية والكثير في الوجه الثاني لجمع (المتكأ) ، وعلى هذا المعنى يُحملُ قولُ الشاعر :

فإني وَجَدْتُ الضـامرين متـاعَهَمْ يَمُوتُ ويَفنى فارضخي مِنْ وعائيـا[(١)]

أي : رأيت كل ضَامر ، ولذلك أفْردَ الضميرَ في (يموت ويفنى) ، ولما كان المعنى : (لا يتخذ كل واحد منكم) ؛ جاء (فتزل قدم) مراعاة لهذا المعنى، ثم قال : (وتَذُوقُوا) مراعاةً للمجموع ، أو لِلَفْظِ الجمع على الوجهِ الكثير »[(٢)].

ويبدُو ذلك في قضيةِ التنازعِ كثيرًا ، كما يكثرُ في اللغة إفرادُ ما يستحقُّ الجمع حملًا على المعنى[(٣)] .

(١) ينظر : شرح التسهيل ١ ـ ١٢٧/ البحر المحيط ٥ ـ ٥٣٣/ روح المعاني ١٤ ـ ٢٤٤.
(٢) البحر المحيط ٥ ـ ٥٣٣ .
(٣) ينظر : شرح التسهيل ١ ـ ١٢٧ ، ١٢٨ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تأويلُ المرجعِ لمخالفةِ الضميرِ العائدِ في الجنس :

ـ قولُه ـ تعالى ـ : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ ﴾[النحل:٦٦] .

فيه (الأنعامُ) جمعٌ غيرُ عاقلٍ ، فيعاملُ معاملةَ المفردةِ ، ولكن الضميرَ العائدَ عليه في الموضعِ السابقِ (هاءُ الغائب) ، وهو للمفرد ، فاختلفا، يؤولُ ذلك بما يأتي :

ـ يذكرُ في الأنْعامِ وجهان :

أولُهما : أنْ يكونَ اسمًا مفردًا يقتضي معنى الجمع ، كـ (نَعَم) في قولِ ابنِ الحُقيْن ، وقيل لغيرِه :

في كُـــلِّ عـــامٍ نَعَـــمٌ تَحْوُونَـــه يُلْقِحُـــه قَـــوْمٌ وتَنْتِجُونَـــه [(١)]

والآخر : أن يكونَ جمعَ تكسيرٍ لـ (نَعَم) ، كأجيالٍ في جبلٍ[(٢)] ، يذكرُ سيبويه : وأما أفعالٌ فقد يقع للواحدِ ، مِن العربِ مَنْ يقولُ : هو الأنعامُ ، وقال اللهُ ﷻ : ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ ﴾ [النحل:٦٦] [(٣)] .

أي : إن أفعالا قد تقع موقع الواحدِ مجازًا .

ـ يذهب جماعة ـ على رأسهم الكسائي ـ أن المقصودَ في هذا الموضعِ أنه نُسقيكم مما في بطونِ ما ذُكِر ، أي : في بطونه ، فلذلك ذُكِّر الضميرُ العائد .

---

(١) ينظر : الكتاب ١ ـ ١٢٩/ الإنصاف ١ ـ ٦٩/ المساعد ١ ـ ٢٣٧/ الخزانة ١ ـ ٤٠٧/ البحر المحيط ٥ ـ ٥٠٩ . لسان العرب : مادة (نعم) .

(٢) لسان العرب ، والقاموس المحيط : مادة (نعم) .

(٣) الكتاب ٣ ـ ٢٣٠ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويؤيد لذلك بقولِه تعالى : ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾﴾ [عبس] ، أي : فمن شاء ذكر هذا الشيء ، وقوله تعالى : ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾ [الأنعام:٧٨] ، أي : هذا الشيء الطالع .

ويخرج على ذلك قولُ الراجز :

فيهـا خطـوطٌ مـن سـوادٍ وبَلَـقْ كأنه في الجِلْدِ تَوْليـعُ البَهَـقْ [(١)]

أي : كأن المذكور ...

ويرى جماعةٌ أن الأنعامَ جمعُ تكسير فيما لا يعقل ، فقد يعاملُ معاملةَ الجماعةِ فيؤنث ، وقد يعاملُ معاملة الجمعِ فيذكَّر .

وقيل : إن تذكير الضمير بسبب عوده على (بعض الأنعام) ، وهو الإناث ، لأن الذكورَ لا ألبان لها، فكأن العبرة إنما هي في بعضِ الأنعام[(٢)].

وأميل إلى هذا الرأي الأخير ، حيث نجد أن الآية تتحدثُ عن العبرة التي نعتبرُها في الأنعامِ من حيثُ اللبنُ الذي نُسقاه،والدليلُ تلك الكلمات المذكورةُ فيها . وهذه العبرةُ يؤديها بعضُ الأنعام ، وليس كلها ، ومن ثَمَّ كان تذكيرُ الضمير لعودِه على (بعض) المفهوم من السياق والحال .

فإذا استحضرنا قولَه تعالى في السورة نفسِها : ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ [النحل]، حيث جاء

(١) ينظر : المحتسب ٢ ـ ١٥٤/ مغني البيب رقم ٩١٠/ الدر المصون ٤ ـ ٣٤٣ .
(٢) ينظر : الدر المصون ٤ ـ ٣٤٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الضميرُ العائدُ على الأنعام في هذا الموضعِ مؤنثا ، ذلك لأنه يتضمنُ كلَّ الأنعام ، إناثها وذكورها ، لأن الموضعَ يعرض كل المنافعِ التي يفيدُها الإنسانُ من الأنعامِ ، وهي لا تكونُ إلا بكلِّ الأنعامِ ، لذا أُنث الضميرُ العائد .

ومثلُ الانتفاعِ بكلِّ الأنعامِ ما جاء في سورة المؤمنين من قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [المؤمنون] .

ـ تأويل المرجع لمخالفة الضمير العائد له في العقل :

في قوله تعالى : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [النحل] .

نجد أن المعبود من دون الله عبر عنه بالاسم الموصول (ما) ، وهو لغير العاقل ، وقد عاد عليه واو الجماعة الفاعل في (يستطيعون) ، وهو للجماعة الذكور العقلاء، فكان الخلاف بينهما في العدد ، وقد وضح ذلك فيما قبل ، كما كان الخلاف بينهما في العقل وعدمِه ويمكن تأويل ذلك بما يأتي :

ـ اعتقادهم أن جميع المعبودين ـ وكثيرٌ منهم أصنامٌ ـ تضرُ وتنفعُ ، ولذلك قدموا لها القرابين .

ـ المشاكلةُ بينها وبين من يملك الرزق ويستطيعه .

ولذلك فقد عبر عن هؤلاء بالاسم الموصول (مَنْ) في قوله ـ تعالى ـ المذكور سابقا : ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴾ [النحل:١٧] .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

د ـ تأويل التركيب بين الخبر والاستفهام :

قد يكون من طبيعة التركيب أن يحتمل معنى الخبر والطلب الاستفهامي، ويؤيد ذلك احتمال المعنى ، وتأويله ، ففي قوله ـ تعالى ـ : ﴿ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ﴾ [النحل:٧١] ، يؤول التركيب أو الجملة (فهم فيه سواء) إلى :

ـ حذف أداة الاستفهام ، والتقدير : أفهم فيه سواء ، ومعناه النفي ، والتقدير : ليسوا متساوين فيه ... ، ويؤيد ذلك السياق ؛ حيث إن الحديث عن طرفين، أحدهما: الذين فضلوا، والآخر: ما ملكت أيمانهم ، والسؤال بالتسوية التي تخرج إلى معنى النفي عنهما .

ـ أنه إخبار بالتساوي ، حيث يكون المعنى : ما يطعمونه ويلبسونه لمماليكهم إنما هو رزق الله الذي أجراه على أيديهم ، فكل من المجموعتين سواء .

هـ ـ تأويل محذوف لمناسبة المعنى ، والمؤثر هو الخلاف الزمني :

في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ [النحل] ، يقدر محذوف قبل الفعل (قرأ) لتتلاءم أجزاء السياق ، تقديره : أردت قراءة ، ويعلل لذلك بأن الفعل يوجد عند القصد والإرادة[١] ، وقد يقدر : فإذا أخذت في قراءة القرآن فاستعذ[٢] .

والذي يدعو إلى ذلك أن الاستعاذة فعل أمر للمستقبل ، وقرأ فعل

(١) ينظر الكشاف ١ ـ ٥٣٥ .
(٢) ينظر : المحرر الوجيز ٨ ـ ٥٠٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ماض،والاستعاذة سابقة للقراءة في الإحداث لكنه عند الإرادة،أي: إرادة القراءة ، تحدث الاستعاذة ، ثم تليها القراءة ، لذا كان التِأويل بمحذوف.

ومنه نلمسُ أن الذي يدعو إلى التأويل هو الخلافُ الزمني بين عنصريْن من عناصر التركيب اللفظية ، متراكب أحدهما على الآخر .

ثالثا : التأويل المعجمي :

قد يكون للفظة الواحدة المذكورة في التركيب أو الجملة أكثر من معنى، وكل منها يتسق دلاليا مع سائر أجزاء التركيب أو الجملة ، فيتجه إلى أحد هذه المعاني ليستخلص أو يستجمع المجموع الدلالي ، وذلك عن طريق التأويل، لكننا نلحظ مع دراستنا لمواطن التأويل في سورة (النحل) أن هذا الاتجاه أو النوع من التأويل يمكن أن ينتهي إلى قسمين :

أولهما : تأويل معنى اللفظة دون تغيير في الأثر الإعرابي .

والآخر : تأويل معنى اللفظة مع التأثير في الموقع الإعرابي .

ونضيف إليهما تأويل المعنى الوظيفي لبعض الأدوات الأسماء في السياق . وينحصر ذلك في : من ، وما .

أ ــ التاويل المعجمي للفظة دون التأثير الإعرابي :

من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ ﴾ [النحل] ، حيث يمكن أن يفهم من (ظل) أن تكون على بابها من دلالتها على الإقامة نهارا أو تكون بمعنى (صار) ، والفرق بين التركيبين دلالي ، ينحصر في دوام الحديث المفهوم من التأويل الأول ،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والتحول المفاجئ المفهوم من التأويل الثاني ، ولا يوجد تغير إعرابي ، حيثُ كل منهما يعمل عمل (كان) .

ومثل هذا التوجيه من التأويل يفهم من قوله تعالى : ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل:٦٧] ، حيث يكون في معنى (السكر) أقوال[(١)] ، تنحصر في كونه من أسماء الخمر ، ومنه قول الأخطل :

بئس الصحاب وبئس الشربُ شربهم إذا جرى منهم المزاء والسَّكَر[(٢)]

وقد يكون مصدرا سمي به الخمر ، أو اسما للخل بلغة الحبشة ، ويجعل اسما للعصير مادام حلوا حلالا ، وذلك لمآله لذلك لو أنه ترك ، وذكر أبو عبيدة أنه يكون اسما للطعم[(٣)] .

وأنت تلحظ أن (سكرا) بتأويله إلى أي من المعاني السابقة بحمل موقعا إعرابيا واحدا وهو أنه مفعول به .

ومثل ذلك واضح في قوله تعالى : ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾ [النحل:١٢٠] ، حيث معنى (أمة) يجوز أن ينصرف إلى الرجل الجامع لخصال محمودة ، كما ينصرف إلى المبالغة ، حيث وزنه (فعلة) بضم الفاء ، والختم بتاء التأنيث ، ومع التأويلين في المعنى لا يتغير الإعراب ، حيثُ

(١) يرجع إلى : لسان العرب ، والقاموس المحيط : مادة (سكر) ، مجاز القرآن ١ ـ ٣٦٣/ الكشاف ١ ـ ٥٢٨/ البحر المحيط ٦ ـ ٥٥٧/ الدر المصون ٤ ـ ٣٤٥ .
(٢) يرجع إلى : القرطبي ١٠ ـ ١٢٨/ البحر المحيط ٦ ـ ٥٥٧/ روح المعاني ١٤ ـ ١٧٦ .
(٣) مجاز القرآن ١ ـ ٣٦٣/ وينظر : البحر المحيط ٦ ـ ٥٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يكون خبر كان منصوبا .

ب ـ التأويل المعجمي مع التأويل في الموقع الإعرابي .

يتضح ذلك في قوله تعالى:﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ [النحل:٧٢] .

يمكن أن يؤول معنى (حفدة) إلى :

١ ـ أولاد الأولاد ، فتكون معطوفة على (بنين) منصوبة ، لأنهما في مرتبة معنوية متوازية ، وذلك بقيد كونه من الأزواج .

٢ ـ الخدم ، جمع (خادم) ، فتكون من قبيل عطف الصفات لشيء واحد، أي : جعل لكم بنين خدما[(١)] .

٣ ـ الأعوان والأصهار ، ومن ذلك قول جميل :

فلو أن نفسي طاوعتني لأصبحت ... لها حفد مما يُعَدُّ كثير

ولكنها نفس على أبيةٌ ... عَيُوفٌ لأصهار اللئام قَذُورٌ[(٢)]

وحينئذ تكون منصوبة مفعولا به لفعل محذوف تقديره (جعل) ، الأولى مقيدة بالأزواج وما جاء منهن ، والأصهار والأعوان ليسوا منهن ، فلزم تكوين جملة جديدة بتقدير فعل آخر ، وهو (جعل) ، غير الأول ، ويكون من قبيل عطف الجملة على الجملة .

---

(١) ينظر : الدر المصون ٤ ـ ٣٤٧ .

(٢) ينظر : القرطبي ١٠ ـ ١٤٤/ الدر المصون ٤ ـ ٣٤٧/ روح المعاني ١٤ ـ ١٩٠ ـ وفيه : عيوني لأصهار اللئام تدور .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ب ـ تأويل المعنى الوظيفي لـ (مَنْ) :

للاسمِ (مَنْ) في اللغة معانٍ تتعدد ، وهي في السياق تكون محددة الوظيفة والمعنى ، كأن تكونَ موصولة أو شرطية ، وحينئذ تؤول مع سائر التركيب ، على أن يصح المجموعُ الدلالي .

من ذلك قولُه ـ تعالى ـ : ﴿ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَـٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا ﴾ [النحل:٧٥] .

حيث تحتمل (مَنْ) في هذا الموضع أن تؤولَ إلى :

ـ الموصولية ، ويكون التقديرُ : والذي رزقناه .. ، وتكون جملةُ (رزقناه) صلةً لا محل لها من الإعراب .

ـ الموصوفية ، ويكون التقديرُ : وحُرًّا رزقناه ، وتكون جملةً (رزقناه) في محل نصبٍ صفةً . وهذا التقديرُ يطابق عبدًا المذكورة في الآية الكريمة .

تأويل المعنى الوظيفي لـ (ما) :

تتعدد الجهاتُ الدلالية لـ (ما) في اللغة إذا كانت اسما ، يكونُ محددَ الوظيفةِ والمعنى من خلالِ التركيبِ والسياقِ ، وفي بعض التراكيب أو السياقاتِ يمكنُ أن يحتملَ أكثر من معنى ، أو أكثر من وظيفة ، تبعًا لتأويل السياق ، وحينئذ يحتاج إلى تأويل .

من ذلك قولُه تعالى : ﴿ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ ﴾ [النحل] ، حيث يحتمل (ما) في هذا التركيب :

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ـ أن يكونَ حرفًا مصدريا، والتقديرُ : عن إشراكِهم به، ويكون المصدرُ المؤولُ في محلِّ جر بعَنْ .

ـ أن يكون اسمًا موصولا ، والتقدير : عن الذي يشركون به غيره ، وتحتاجُ جملةُ الصلة (يشركون) ـ حينئذ ـ إلى عائد ، فيقدرُ في شبه الجملة المقدرة : به ، ويكون الاسمُ الموصول في محل جر بعَنْ .

وجملة (يشركون) في التأويلَيْن صلةٌ لا محلَّ لها من الإعراب . ولكنها اختلفت بين صلةِ الحرف ، وصلةِ الاسم .

رابعا : التأويل الوظيفي للحرف :

الحروف تتعددُ وظائِفُها في الجملةِ أو التركيب تعددًا يؤثر ـ بالضرورة ـ في الجانبِ الدلالي ، وقد يؤثر في التوجيه الإعرابي ، أو الموقع الإعرابي ، أو كيفية احتساب ما يقع بعدَ الحرف من كونهِ اسمًا ظاهرًا، أومصدرًا مؤولًا، أو فعلًا صريحا ، أو غير ذلك .

وندرس التأويل الوظيفي للحرف في سورة النحل من خلالِ ثلاثةِ أحرف ، هي : اللام ، أَنْ ، منْ ، ورأيت أن يدرس كلُّ حرفٍ في مواضعِه التأويليةِ على حدة،حتى تظهرَ صورُ التأويلِ الوظيفي به في مواضعَ مختلفةٍ .

أ ـ تأويل وظيفة اللام :

ـ في قوله تعالى : ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ [النحل:٧٠] ، تؤولُ اللامُ إلى :

١ ـ أن تكون للتعليلِ ، فتكون (كي) مصدريةً لا غير وناصبةً للفعلِ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(يعلمَ) ، والمصدرُ المؤولُ في محل جر بلامِ التعليل . ويكون ما قبلَها سببا في ما بعدها .

٢ ـ أن تكونَ للصيرورة ، والمآلِ والعاقبةِ ، ويكون إعرابُ التركيبِ كما سبقَه ، لكن المعنى يختلفُ عن سابقِه ، حيث يكون ما قبلها حادثًا لا ليكونَ سببًا في ما بعَدها ، وإنما ما بعدَها كان عاقبةً لما قبلها .

ونلمسُ هذيْن المعنيَيْن مجتمعيْن في مواضعَ ثلاثةٍ أخرى، لكننا نتحسَّسُ في كلٍّ منها معنى آخر ، قد يؤثرُ في التوجيه الإعرابي .

ففي قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [النحل] .

نجد أن معنى اللامِ في تركيبِها يمكن أن يؤول إلى أنها لامُ التعليل ، سواءُ أجعلته تعليلًا مجازيا من غير أن يكونَ غرضا ، أم جعلْتَه حقيقيا ، كما يمكن أن يؤولَ إلى معنى العاقبة والمآل ، أي : كان عاقبتهم أنهم حُمِّلُوا أوزارًا كثيرة ، وتكون اللامُ في التأويليْن جارَّةً للمصدرِ المؤولِ المنسبكِ من (أن) المضمرةِ والفعلِ المنصوبِ بعدها ـ على رأي جمهور النحاة ـ ، وتكون شبهُ الجملةِ متعلقةً بما قبلها .

وقد يؤولُ معنى اللام في هذا الموضعِ إلى الأمر ، ويكونُ بمعنى الحتْمِ والقطع ، وتكونُ جازمةً للفعل الذي يليها ، وعلامةُ جزمِه حذفُ النونِ ، وتكونُ استئنافيةً .

والمعاني الثلاثةُ السابقةُ تجتمعُ للامِ في قولِه ـ تعالى ـ :

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ﴾ [النحل]، ففي اللامِ معنى التعليل أو الصيرورةِ فيكون الفعلُ منصوبًا، وتكونُ متعلقةً بما قبلها، وفيها معنى الأمرِ ، وإليه نحا الزمخشري فيكون ما بعدها مجزوما ، وتكون استئنافية[1] .

أما قولُه تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾ [النحل:١١٦] .

ففيه (اللام) في (لتفتروا) تكونُ لمعنى التعليلِ الصريح ، أو لمعنى الصيرورة والعاقبةِ ، وتكون مع ما بعدها من مصدرِ مؤولِ متعلقةً بما قبلَها .

وقد تجعلُها مع المصدرِ المؤولِ الذي يليها بدلًا من (لما تصف) ، باحتسابِ (ما) مصدريةً ، فتخرجُ من معنى التعليل أو الصيرورة إلى معنى النسبةِ .

ب ـ تأويل وظيفة (أَنْ) في التركيب الواحد :

ـ قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦] ، نجد فيه أَنَّ (أَنْ) يمكن أن تؤول إلى :

١ ـ التفسيرية : لأنها المسبوقةُ بجملةٍ فيها معنى القولِ دون حروفه ، وهو البعثُ ، وقد تأخر عنها جملةٌ ، ولم تقترَنْ بحرفٍ جار[2] ، وحينئذ لا محل لها من الإعراب .

---

(١) ينظر : الكشاف ١ ـ ٥٢٧/ الدر المصون ٤ ـ ٣٣٦ .
(٢) ينظر : الكتاب ٢ ـ ١٥٢ ، ١٦٢ ، ١٦٣/ المقتضب ١ ـ ٤٩/ ٢ ـ ٣٦١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢ ـ المصدرية : ويكون التقديرُ : بعثناه بعبادة الله ... ويكونُ المصدرُ المؤول في محل نصبٍ بنزع الخافض ، أو في محل جر باعتبارِ حرف الجر .

ومثل ذلك في تحسس المعنيين لـ (أن) قولُه ـ تعالى ـ : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ﴾ [النحل:٦٨] ، ويكون التقديرُ على التفسيرية : أي : اتخذي ... ، أما التقديرُ على المصدرية فإنه يكون : باتخاذ بيوتا ...

ـ ومثله قولُه تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [النحل:١٢٣] .والتقدير : أي : اتبع ، أو : باتباع .

أما قولُه ـ تعالى ـ : ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ ﴾ [النحل] ، ففيه يمكن أن تؤولَ (أَنْ) ـ وظيفةً ودلالةً ـ إلى ثلاثةِ تأويلات : أولها وثانيها . الوجهان السابقان من التفسيريةِ ، والمصدرية .

وهي مفسرة لأنها مسبوقةٌ بالإنزالِ بالروح ، وهي الوحي ، والوحيُ فيه معنى القول دونَ حروفِه ، فلا محلَّ لها ـ حينئذٍ ـ من الإعراب .

وهي مصدريةٌ ، وقد وصلت بالفعلِ الأمري ، كما هو في : كتبت إليه أَنِ افعَلْ ، وأمرتُه أن قُمْ ، والدليلُ على مصدريتها جوازُ دخولِ الباءِ عليها كالقول : أو عزتُ إليه بأن افعلْ[1] .

أما الثالث لتأويل (أن) في هذا الموضوع : أن تكونَ مخففةً من الثقيلة ،

(١) الكتاب ٣ ـ ١٦٢/ مغني اللبيب ١ ـ ٣٦ (أن المخففة) .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

واسمُها ضميرُ الشأن محذوف ، ويكونْ التقديرُ : ينزلُ الملائكةَ .. أن الشأنَ أنذرُوا أنه ... [١].

وتكون في التأويليْن الأخيريْن إما في محل جر على البدلية من الروح ، لأن التوحيدَ روحٌ تحيي به النفوس[٢] ، وإما في محل نصبٍ بنزعِ الخافض ، وإما في محل جر باعتبار حرفِ الجر مُسْقَطا .

جـ ـ تأويل وظيفة (مِنْ) في التركيب الواحد :

في قوله ـ تعالى : ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ ﴾ [النحل:٢] ، يؤول معنى (مِنْ) الجار إلى بيان الجِنْسِ ، أو التبعيض ، وكلاهما صالحٌ لأداءِ المعنى في السياق ، وهو في الأمرَيْن حرفٌ أصلي .

لكن قوله ـ تعالى ـ : ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [النحل:٢٥] .

نجد فيه أن حرف الجر (مِنْ) يؤول بين الزيادةِ والأصل[٣] ، فمن جَعَلَه حرفًا أصليا في التركيبِ جعلَ معناه التبعيضَ ، ويكون التقديرُ : لِيَحْمِلُوا أوزارهم وبعضَ أوزارِ الذين.... ويقدرُ بعضُهم مفعولًا محذوفًا، ويكونُ التقديرُ : .... وأوزارًا من أوزارِ الذين ...

ولكن الواحدي يردُّ هذا المعنى ، حيث يستلزم تخفيفَ الأوزارِ عن الأتباع ، وهو غيرُ جائز ، ويجعلُها للجنس ، ويكون التقديرُ : ليحملوا أوزارَهم ، وجنس أوزارِ أتباعهم[٤] .

---

(١) ينظر: الدر المصون ٤ ـ ٣١٢ .
(٢) ينظر : الدر المصون ٤ ـ ٣١٢ .
(٣) ينظر : البحر المحيط ٦ ـ ٥٢٠ .
(٤) ينظر : الدر المصون ٤ ـ ٣٢١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن المفسرين واللغويين ـ وعلى رأسهم الأخفش ـ من يجعل (مِنْ) هنا مزيدةً ، فيكون كقولِه : كان عليه وزرُها ووزرُ مَنْ عمل بها ، ويكون التقديرُ : ليحملوا أوزارهم وأوزارَ الذين .. على معنى : ومثل أوزار .. ، فلا ينقصُ من أوزارهم شيء .

خامسا : التأويل والسياق :

لابدَّ من التنبيه إلى أن التأويلَ إنما ينبعُ من صحةِ السياقِ لفظيا ، ومعنويا، فهو يعتمدُ عليه، ويرتبطُ به ارتباطًا يحتلُّ به مساحةً من التركيبِ، أو أكثر .

وكلُّ تأويلٍ يجبُ أن يحتملَه السياق ، ويخرَّج على أسسٍ معنويةٍ أو دلالية محكمةٍ ، إلى جانبِ مراعاةِ قوانينِ البنيةِ بشقَّيْها : قوانينِ النحو (بنية الجملة) .

وفي هذا القسمِ من البحثِ يتبينُ لنا كيف يرتبطُ التأويلُ بالسياق ارتباطًا كليا جليا،كما أنه يستغرقُ من أجزاءِ التركيبِ مساحةً كليةً ، وذلك من خلالِ المواضعِ الآتيةِ من سورة (النحل) وما يرتبطُ بها من أفكارٍ .

أ ـ تأويل الموقع الإعرابي تبعا للمعنى الكلي :

في قوله ـ تعالى ـ : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾ [النحل] .

يبنى التوجيهُ الإعرابي لموقعِ شبهِ الجملةِ (بالبينات) على العلاقةِ المعنويةِ الصحيحةِ بينها وبينِ ما سبقَها ، إذْ يمكنُ أن يؤولَ المعنى ـ وبالتالي يؤولُ موقعُ شبهِ الجملةِ ـ بحسب ما يأتي :

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ـ أرسلْنا رِجالًا مصاحبين أو مُلْتبسين بالبيناتِ والزبُرِ ... فتكونُ شبهُ الجملةِ (بالبينات) في محل نصبٍ ، نعتٌ لرجال[١] .

ـ قد يكونُ المعنى : أرسلْنا بالبينات ، فتكونُ شبْهُ الجملةِ متعلقةً بالإرسال . سواء أُدخلَتْ شبهُ الجملةِ في الاستثناء ، أمْ قُدرتْ قبلَه ، ذكره جماعةٌ ، وعلى رأسِهم الزمخشري[٢] ، والحوفي وابنُ عطية[٣] .

ـ يصح المعنى على تقدير : نوحي بالبيناتِ والزبرِ ، فتكون شبهُ الجملةِ متعلقةً بالوحي . ذكره الزمخشري وأبو البقاء[٤] .

ـ وقد يكونُ المعنى : إن كنْتُم لا تَعْلَمون بالبيناتِ والزبر ، فتكونُ شبهُ الجملةِ متعلقةً بعدمِ العلم .

ـ ومنهم من يجعلُ شبهَ الجملةِ جوابًا لسؤالٍ مقدر، تقديرُه: بم أرسِلُوا؟ بالبينات .. [٥] .

ومنه يظهرُ لنا أن موقع شبهِ الجملة (بالبينات) يُؤَوَّلُ طبقا لتأويلِ العلاقةِ المعنوية بما سبَقها ، بشرط صحةِ التأويل المعنوي ، وهذه العلاقةُ مستوحاةٌ من المجموعِ الدلالي للتركيبِ كلِّه ، المرتبطةِ عناصرُه اللفظيةُ جميعُها ، وإن كانتْ موزعةً على آيتيْن كريمتيْن .

ـ ومن ذلك قولُه تعالى:﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [النحل:٤٥]،

---

(١) ينظر : الكشاف ١ ـ ٥٢٥ .
(٢) السابق .
(٣) المحرر الوجيز ٨ ـ ٤٢٤ .
(٤) ينظر : الكشاف ١ ـ ٥٢٥/ التبيان في إعراب القرآن ١ ـ ٧٩٦ .
(٥) ينظر : الدر المصون ٤ ـ ٣٢٨ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حيث يقدرُ المعنى الذي ينبنى عليه الموقعُ الإعرابي لـ (السيئات)؛ كما يأتي:

ـ أن يكونَ التقديرُ : مكروا المكراتِ السيئات ... فتكون (السيئات) نعتًا لمصدرٍ محذوف ، أي : تكون نائبًا عن المفعولِ المطلقِ منصوبًا .

ـ أو يكون : أفأَمِنَ الذين فعلُوا السيئات ، على تضمين (مكروا) معنى (فعلوا) أو (عملوا) ، فتكونُ (السيئات) مفعولًا به منصوبًا .

ـ وقد يكون المعنى : أفأمنوا السيئات ، فتكون مفعولًا به لأَمِنَ .

ب ـ تأويل معلقِ شبهِ الجملةِ تبعًا لتأويلِ السياق :

قد يؤولُ ما يتعلقُ به شبهُ الجملة في التركيبِ تبعا لصحةِ تأويل السياق الذي يتطلبُ صحةَ المعنى ، ففي قوله ـ تعالى ـ : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا﴾ [النحل:٧٣] ؛ نجد أن شبه الجملة (من السموات) يمكنُ أن تتعلقَ بثلاثةِ أجزاءِ من التركيبِ تبعا لتأويلِ السياقِ ، كما يأتي :

ـ يكون المعنى : يملكُ لهم رزقًا من السمواتِ ، فالرزقُ من السموات ، فلذلك تكونُ في محل نصب ، نعت لرزق .

ـ وقد يكون السياقُ : ما لا يملك من السموات والأرض رزقًا شيئا ، ويكون (شيئا) منصوبًا على البدليةِ من (رزقا) ، أومنصوبًا على المصدرية ؛ وتكون بمعنى (ملكا) ، وشبهُ الجملةِ (من السموات) على هذا النحو من السياقِ تكونُ متعلقةَ بالملك .

ـ ومثل ذلك في قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾﴾

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

[النحل] ، حيثُ يجوز أن يتعلقَ (اليوم) بـ (الخزي) ، لأنه مصدرٌ ، ويكونُ السياق : إن خزي الكافرين في هذا اليوم .

كما يجوز أن تتعلق بما استقر في شبه الجملةِ (على الكافرين) ، ويكون التقديرُ : الخزي والسوء على الكافرين في هذا اليوم .

ونلمسُ ذلك في قولِه تعالى : ﴿ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ ﴾ [النحل:١٤] ، حيث تتعلقُ شبهُ الجملةِ (فيه) بالرؤية ، أو : بـ (مواخر) ، ويكون التقديرُ : ترى فيه ، أو : تمخر فيه .

جـ ـ تأويل الموقعِ الإعرابي تبعًا لتأويلِ السياق بين معنى لفظة أو حذفِ أخرى :

ـ في قوله تعالى : ﴿فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ﴾ [النحل:٢٨] ، نجدُ أن الجملةَ الفعليةَ المحولة المنفيةَ (ما كنا نعمل من سوء) يؤولُ موقعُها الإعرابي تبعًا لتأويلِ السياقِ على وجهين :

أولُهما : أن يكونَ (السلم) بمعنى القولِ الملقى ، كما هو مذكورٌ في قولِه ـ تعالى ـ في السورة نفسها : ﴿فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ﴾ [النحل:٢٨] ، نجد أن الجملةَ الفعلية المحولة المنفية (ما كنا نعمل من سوء) يؤولُ موقعُها الإعرابي تبعًا لتاويل السياق على وجهين :

أولهما : أن يكونَ (السلم) بمعنى القولِ الملقى ، كما هو مذكور في قولِه ـ تعالى ـ في السورةِ نفسها:﴿فَأَلْقَوُا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [النحل]،وحينئذٍ تكونُ جملةُ (ما كنا نعمل من سوء) مفسرةً للسلم ، لا محلَّ لها من الإعراب .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ـ **والآخر** : أن يقدرَ الكلامُ : فألقَوْا إليهمُ السلم قائلِين ما كنا نعمل ..، ـ وحينئذ ـ تكون في محل نصب ، مقول القول ، ويكون القول المقدرُ منصوبًا على الحالية .

د ـ تأويل صاحبِ الحال لتأويلِ السياق :

يبدو ذلك في قولِه ـ تعالى ـ : ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [النحل:٢٥] ، حيث شبهُ الجملةِ (بغير علم) في محل نصب ، حال ، ويمكنُ أن يؤولَ صاحبُها على وجهيْن تبعا لتأويلِ السياق ، وذلك على النحو الآتي :

ـ أن يكون التقدير : الذين يضلون مَنْ لا يعلمُ أنه ضلالٌ[(١)] ، وبذلك فإن صاحبَ الحالِ يكون ضميرَ الغائبين المفعول به (هم) .

ـ أو يكون التقدير : الذين لا يعلمون يضلونهم ، فيكون صاحبُ الحالِ واوَ الجماعة الفاعل في (يضلون) ، ويرجح هذا بأنه المحدث عنه .

هـ ـ تأويل السياقِ للخلافِ في الموقعِ الإعرابي :

ذكر الإنزالُ المسندُ إلى الله تعالى في موضعين من سورة النحل في صورةِ سؤال ، وكان الجوابُ بالقولِ ، لكن اخْتُلف في إعرابِ مقولِ القول ، وهو الجواب ، بين الموضعين .

وذلك في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُواْ خَيْرًا ﴾ [النحل:٣٠] .

---

(١) ينظر : الكشاف ١ ـ ٥٢٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقولِه ـ تعالى ـ : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [النحل] .

فَلِم نصب (خيرا) ، ورفع (أساطير) ، وكِلاهما مترتبٌ على ما أنزل اللهُ ـ تعالى ـ ، وكلاهما بعد القول ؟ يؤول ذلك إلى إرادةِ الفصل بين جوابِ المقرِّ وجواب الجاحد[1]،فالمتقون لم يتَلَعْثَموا في جوابهم لإقرارِهم وإيمانهم، فأجرَوا الجوابَ على السؤالِ ، فَنَصبُوا المنزلَ مفعولًا به ، ويتلاءَمُ ذلك مع قوله ـ تعالى ـ : (خيرا) . أما الجاحدون فقد تلعْثَموا، لعدم إيمانهم . وعدمِ إقرارهم ، فعدلُوا بالجوابِ عن صورةِ السؤَال ، فقالوا : هو أساطيرُ ، ويكونون قد عَدَلوا عن الإنزال[2] .

و ـ التأويل في مرجعِ الضمير :

قد يذكر ضميرٌ ويتحمل السياقُ عودَه على أكثرَ من مرجع ، فيتأولُ المعنى طبقا لتأويلِ مرجع الضمير ، كما نلمسه في قوله تعالى : ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [النحل] ، حيثُ يؤولُ مرجعُ ضميرِ الغائبةِ في (منها) إلى :

ـ أن يعودُ على (السبيل) ، والسبيل تؤنث ، قال تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [يوسف:١٠٨] .

ـ يحتمل السياقُ أَنْ يعودَ على الخلائق ، ويؤيد ذلك قولُه تعالى : ﴿ وَلَوْ

(١) ينظر : الكشاف ١ ـ ٥٢٣/ الدر المصون ٤ ـ ٤٢٣ ـ ٣٢٤ .
(٢) ينظر : الكشاف ١ ـ ٥٢٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ﴾ [النحل:٩] ، وهو مقابلٌ للجور ، كما يؤيده قراءة عيسى وما في مصحف عبد الله (ومنكم جائر) ، وقرأ على : (فمنكم جائر) (١) .

والفكرةُ نفسُها نتحسَّسُها في قولِه تعالى : ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ [النحل:١] ، حيث يحتملُ السياقُ أن يعودَ ضميرُ الغائبِ (الهاء) في (تستعجلوه) عن طريقِ التأويلِ على (أمر) ، لأنه هو المحدثُ عنه ، أو على الله ـ تعالى ـ ، لأنه هو المستعجلُ ، حيث هو ـ سبحانه وتعالى ـ صاحبُ الأمر .

سادسا : التأويل والقراءات :

تأويل الموقع الإعرابي للتوفيق بين المعنى والعلامة الإعرابية والخلافِ في بنيةِ الكلمةِ بسبب تعدد القراءات :

الخلاف في البنية من خلالِ التغايرِ في الحركات التي تربط أصواتَها يفرض أن تتغايرَ في وظيفتِها النحويةِ لتتلاءَمَ مع السياق أو مع أجزاء التركيب ، والمؤثرُ هو تغايرُ بنيةِ الكمة .

ولْننظرْ في قولِه ـ تعالى ـ : ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ﴾ [النحل:١١٦] حيث قُرئ (الكذب) بعدَّة روايات تؤثر في نوع بنْيتِها ، وفي توجهِهَا الإعرابي ، وذلك على النحو الآتي (٢) :

ـ (الكَذِبَ) : بفتحِ فكسرِ فنصبٍ بالفتحة ، وهي قراءةُ الجمهورِ ،

(١) ينظر : الدر المصون ٤ ـ ٣١٥ .
(٢) ينظر : الكشاف ١ ـ ٥٣٧/ البحر المحيط ٦ ـ ٦٠٦/ الدر المصون ٤ ـ ٣٦٤ ، ٣٦٥.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويكون معناها : الكلامَ المكذوبَ ، فتعرف مفعولا به لتصف ، ويكون مقولُ القولِ : هذا حلالَ ... ، وهذا على أن (ما مصدرية) ، أو يعربُ (الكذب) بدلًا من العائد المحذوف على (ما) إذا جعلناها موصولة .

وقرأ الحسنُ وابنُ يعمروطلحةُ بالجر ، فتؤولُ إلى أنه بدلٌ من الاسمِ الموصولِ المجرورِ (ما) ، والتقدير : ولا تقولوا لوصف ألسنتكم الكذبِ ، وكأنه : ولا تقولوا للكذب .

ـ الكُذُبُ : بضم فضم فرفع بالضمة ، وهي قراءةُ ابنِ عبلةَ ومعاذ ، جمع كذوبٍ ، وهي تؤول إلى أنه صفةٌ للألسنة .

ـ وقرأ مسلمةُ بنُ محاربٍ بالنصب ، وتؤولُ إلى أن يكونَ منصوبًا على الذم ، أو على المفعولية لتصف ، أو : للقول ، أو يكونَ منصوبًا على المصدرية ، على أن يؤولَ إلى أنه جمع كذَاب ، نحو : كِتَاب وكتب .

وقد كان التعددُ في بنيةِ الكلمةِ المؤثرةِ والداعيةِ إلى تأويلاتٍ عديدةٍ في جهات مختلفة سببه القراءات ، وهي متواترة .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

شبكة
الألوكة

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خاتمة البحث

لم يكنْ عملُ النحاةِ باستخدام التأويلِ صرفًا للكلامِ عن ظاهره ؛ بقدرِ ما هو توفيقٌ بين الظاهرِ المنطوقِ وما يمكنُ أن يخفَى من معانٍ مقصودةٍ ، فيبدُو ما هو ظاهرٌ لنا من تركيبٍ مختلفةٍ أجزاؤُه في جانبٍ ما من جوانبِ قوانينِ التركيبِ المطردةِ ، فيلْجأُ إلى التأويلِ لتفسير هذه المخالفةِ البادية . والنحاة لمْ يلجأوا إلى التأويلِ في كل الكلامِ ، بل في تلك التراكيبِ المحددةِ التي توارثْناها فكان فيها هذه المخالفة .

كما أنهم قد يلجأون إلى التأويلِ في غيرِ وجودِ مخالفةٍ بين أجزاءِ التركيبِ الظاهرة ؛ وإنما قد يُستخدمُ في بيانِ الكلماتِ التي يكونُ لها أكثرُ مِن وجهٍ في التركيبِ ، وكلٌّ منها صحيحٌ في ظاهرِ التركيبِ ؛ ولكنه يَخْفَى في مجموعِ دلالةِ التركيبِ ، فيوفقُ بينَ كل وجهٍ من الأوجهِ الدلاليةِ للفظةِ ؛ وما يمكنُ أن ينتُج من مجموعٍ دلالي للتركيبِ بالاتساقِ بينَ هذا الوجهِ الدلالي وأجزاءِ التركيبِ الأخرى . وهذا يعدُّ تأويلًا ؛ لأنه رجوعٌ إلى أصلٍ معنوي مع تدبُّر وتقديرٍ وتحرٍّ وجمعٍ وإصلاحٍ وبيانٍ وتفسيرٍ ، فيتضحُ المجموعُ الدلاليُّ للتركيبِ الملفوظِ به .

لذلك فإن النحاةَ لمْ يقصُرُوا التأويلَ على ما « إذا اصطدم نصٌّ بقاعدةٍ نحويةٍ»[1] ، فيعمدونَ إلى تأويلِ النص بما يتفقُ ومذهبَهم النحويَّ أو

(١) ظاهرة التأويل في إعراب القرآن الكريم ١٤ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اللغوي ؛ وإنما يتجاوزُ ذلك إلى جوانبَ أخرى من التركيبِ أو الكلام ، تخرجُ عن ظاهرةِ المخالفةِ أو الاصطدام .

لابُدَّ من التنبيهِ إلى أن التأويلَ إنما يهدفُ إلى صحةِ السياقِ، سواءٌ أكانت الصحةَ اللفظيةَ أم المعنوية، وكل منهما إنما ينبع من السياقِ ، ويعتمدُ عليه، ويرتبطُ به ارتباطًا يحتلُ به مساحةً من عناصرِ التركيبِ ، جزئيةً أم كليةً ، ولا نغفلُ عن تضمنِ كل عنصرٍ من عناصرِ التركيبِ جهتِي اللفظ والمعنى، إلى جانبِ الاتساقِ اللفظي مع كلِّ عناصرِ التركيب .

فالتأويلُ اللفظي يبنى على صحةِ التأويلِ المعنوي ، حيثُ إنه يجوزُ حدوثُه انطلاقًا من صحةِ العلاقةِ المعنويةِ بين موضعِ التأويلِ وما يرتبطُ به من أجزاءِ التركيبِ .

والفكرةُ نفسُها تراعي عند التأويلِ الدلالي أو المعنوي .

ذلك لأن التأويلَ إنما يكونُ في لفظةٍ أو أكثرَ بالنظرِ إلى أخرى متسقةٍ مع كلِّ التركيبِ ، أو أكثر ؛ لذلك فإن ارتباط التأويل بالسياقِ أو التركيبِ يكون على درجات تختلفُ باختلافِ مدى مساحةِ المؤوَّلِ بأجزاءِ التركيبِ، وكذلك جهة التأويل .

ولابُدَّ أن نُنَوهَ إلى أن كلَّ تأويلٍ له طرفان أساسانِ في التركيبِ الملفوظِ به ، أو المنطوقِ ، والعلاقةُ الباديةُ بينهما في هذا التركيبِ هي السببُ في اللجوءِ إلى التأويلِ ، وهما : الـمُؤولُ ، وما جعله مؤوَّلا ، فالمؤولُ موضعُ التأويلِ في التركيب ، وما جعله مؤولًا هو الذي دفَع إلى ضرورةِ التأويلِ ،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أو جوازِه ، وكلٌّ منهما قد يكونُ لفظيا ، وقد يكونُ معنويًّا ، وقد يكونُ الاثنانِ معًا أحدَ الجانبيْن .

ولابُدَّ أن نفهمَ أن هناكَ علاقةً بين الطرفَيْن ، وهي التي يجب أن تتسقَ ، أو يجوزُ أن تقترح، وهي العلاقةُ التي تدعُو إلى تأويلِ علاقةٍ أخرى واسطةٍ بينهما ، تكون خطًّا رابطًا ربطًا جديدًا مقبولا ومتسقًا مع قوانينِ التركيبِ وصحةِ الـمَعْنى ، سواءٌ أكان ذلك من خلالِ الوجوبِ أو الجواز ، وينتج عن تلك العلاقةِ الجديدةِ طرفٌ ثالثٌ رابط ، هو المؤوَّلُ إليه ، وهذا الطرفُ الجديدُ يمكنُ أن يرتبطَ . بما صدرَ عنه ، أو منه ، وهو المؤولُ ، ارتباطًا صحيحًا لفظيا ومعنويا . كما يمكنُه أن يرتبطَ بما دفعَ ما صدرَ عنه ، أو منه ، إلى تأويله ، ارتباطًا صحيحًا لفظيا ومعنويا ، فالطرفُ الثالث ، وهو ما أُوِّل به ، أو المؤولُ إليه ، يكون صادرًا من المؤولِ وراجعًا إليه ، ويكون راجعًا إلى ما دَفع إلى التأويلِ .

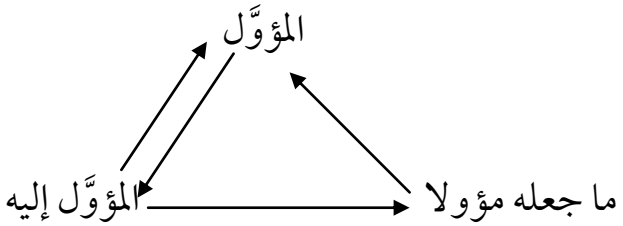

فأي تأويلٍ مقترح أو حادثٍ يجبُ أن يحتمَله السياقُ ، أو التركيبُ ، ويُخَرَّجُ على أسسٍ دلاليةٍ أو معنويةٍ محكمةٍ،متسقةٍ مع قوانينِ البنيةِ بشقَّيْها: بنيةِ الكلمةِ ، وبنيةِ الجملةِ .

فإن لمْ يكنْ ذلك الاتساقُ المتكاملُ فإن ما ينطقُ أو يلفظُ به يكون ضرورةً ، أو شذوذًا .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن هذه الدراسةِ نلمس أنه يمكنُ أن نقسمَ التأويلَ إلى قسمين ، من حيثُ ضرورتُه في التركيبِ ، وهما :

ـ **تأويلٌ لازمٌ (واجبٌ حدوثُه)** : فيما إذا كان هناك مخالفةً واضحةً في قوانينِ التركيبِ ـ لفظية أومعنويةِ ـ ومن أمثلتِه :

ـ عوْدُ ضميرِ العاقلين على غيرِ العقلاء .

ـ الخلافُ العددي بين الضميرِ العائدِ وما عاد عليه .

ـ الخلافُ بين زمني الفعليْن المتراتبَيْن .

ـ الخلافُ بين التركيبيْن المتراتبَيْن من حيثُ دلالةُ كل منهما بينَ الوجوبِ والإثبات ، أو الخبرِ والاستفهامِ الذي يخرجِ إلى غرضٍ بلاغي مقترح ملائمٍ للسياق ...

ـ الخلاف العددي بين لفظيْن مترابطيْن في التركيب ، كأن يكونا مبتدأً وخبرًا ، وما يشاكلهما في الجملةِ .

ـ تأويل المعنى للخلافِ في الموقعِ الإعرابي لكلمةٍ في تركيبين متشابهيْن لفظا ومعنى .

ـ التأويل الناتجُ عن خلافٍ في القراءات .

تأويلٌ غيرُ لازم : يكونُ قائـمًا على صحةِ تعددِ الجهاتِ اللفظيةِ أو المعنويةِ لِلَّفظةِ الواحدة أو أكثر في التركيب ، مع مراعاةِ صحةِ المجموعِ الدلالي أو السياقِ . ومن أمثلته :

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ـ التأويل المعجمي للكلمةِ ، سواءً أكان ذلك مؤثرًا في الموقعِ الإعرابي ، أم لم يكنْ مؤثرا .

ـ التأويل في معنى الحرف ، أو دلالتِه أو كونِه أصيلًا أم زائدًا ، مع التأثرِ في أعمالِه ، أو إهماله .

ـ تأويل الموقعِ الإعرابي لمناسبةِ العلامةِ والمعنى والموقعيةِ المقترحة . أو تأويلُ المعنى مع الجوانبِ الملازمةِ السابقة .

ـ تأويل المرتَبطِ به ذواتُ موقعٍ إعرابي لصحة تعددِه ، مع صحةِ المعنى في كل تأويل .

ـ طبيعة مدلولِ الكلمة ، حيثُ صحةُ إطلاقُها على أسماءٍ كثيرة ، أو احتواءُ مدلولاتِها كلَّ الأسماء .

ـ تأويلُ ما تتعلقُ به شبهُ الجملة ، أو ما تربطُ به معنويا ، فيتأثرُ موقعها .

ـ صحةُ تعددِ الموقع الإعرابي والسياق .

ـ التأويلُ في معاني الأدوات ذات الوظائف النحوية لتعددِها مع صحةِ السياقِ مع كل معنى .

قوانين التأويل :

لو أردْنا أن نوجدَ قوانينَ للتأويلِ فإنما نَسَنُّها من خلالِ مواضعِ التأويلِ التي وردَتْ في هذا البحثِ ، وما قد يُلتقطُ من أقوالِ بعضِ النحاة . ونقترحُ من القوانينِ :

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ـ الاتساقُ اللفظي والمعنوي بين الـمُؤَوَّل وما أُوِّلَ إليه ، وما جعلَه مؤولًا ، إذِ العلاقةُ الثلاثيةُ هذه يجبُ أن يحافظَ عليها ، وأن تكونَ مقبولةً ، سواء أكانت هذه العلاقةُ بين جزءٍ وجزءٍ ، أو بين جزءٍ وعدةِ أجزاءٍ في التركيبِ .

ـ توافق القوانينِ البنيويةِ للكلمةِ وما يمكنُ أن تؤولَ إليه من بِنَى على غيرِ ملفوظها مع مراتبِ الجوازِ لدى اللغويين ، كوقوعِ المصدرِ حالًا ، أو خبرًا ... بتأويلِه إلى مشتق ..

ـ لا يصحُّ التأويلُ إلا بعد اكتمالِ التركيبِ المقصودِ به المعنى الإجمالي المرادُ من دفعةٍ لفظية ، يذكرُ ابنُ يعيش : « لا يصح تأويلُ الكلامِ إلا بعدَ تمامِه»[1] ، لذلك فإنه لا يجوزُ العطفُ على الموضع قبلَ تمامِ الكلامِ ؛ لأنه حملٌ على التأويلِ .

ـ توافق القوانين التركيبيةِ مع ما يمكنُ أن يؤولَ إليه التركيبُ ، أو جزءٌ من التركيبِ،من موقعيةٍ،وعلامة إعرابية،ومرتبةٍ،وذكر وحذف ... إلخ.

ـ عدم الخروجِ بالمعنى بعد إجراءِ عمليةِ التأويل إلى غيرِ ما قَصَدَ إليه السياقُ العام . فلابد أن يكونَ التأويلُ مرتبطا بالسياق . لذلك فإنه يمكنُ أن يُؤولَ الاستفهامُ إلى النفي أو التقرير أو غير ذلك . كما يؤولُ الإضرابُ إلى الإبطالِ أو الانتقال ...

ـ عدم التناقضِ المعنوي أو التركيبي في مجموع الكلامِ قبلَ التأويلِ وبعدَه .

---

(١) شرح المفصل ٨ ـ ٨٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ـ ما ذكره ابنُ جنى في قولِه : « للإنسانِ أن يرتجلَ من المذاهبِ ما يـدعو إليه القياسُ ، ما لم يَلوِ بنص ، أو ينتهكَ حُرمةَ شَرْعٍ .....» [(١)] .

(١) الخصائص : باب (في الاحتجاج بقبول المخالف) ١ ـ ١٩٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

شبكة
الألوكة

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من المراجع والمصادر

ـ أساس البلاغة .

لجار الله محمود بن عمر الزمخشري ـ دار الفكر ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م .

ـ أصول التفكير النحوي .

د . علي أبو المكارم ـ دار الثقافة ـ بيروت ١٩٧٣م .

ـ أصول النحو العربي .

د . محمد خير الحلواني ، ١٩٧٨م .

ـ أصول النحو العربي .

د . محمد عيد ، عالم الكتب ـ ١٩٧٣م .

ـ إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري ـ دار الفكر .

ـ الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين لكمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأبياري ت ٥٧٧ ـ تحقيق محيي الدين عبد الحميد ـ مطبعة السعادة ـ مصر ـ ط٣ ـ ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م .

ـ البحر المحيط .

لأبي عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي ـ ـ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مطبعة السعادة ١٣٢٨هـ ـ القاهرة .

ـ البيان في غريب إعراب القرآن .

لأبي البركات بن الأنباري ـ تحقيق د . طه عبد الحميد طه ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م .

ـ التبيان في إعراب القرآن .

لأبي البقاء العكبري . تحقيق علي البجاوي . القاهرة ١٩٧٦م .

ـ تهذيب اللغة .

لابن منصور محمد بن أحمد الأزهري ت ٣٧٠ ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ الدار القومية ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م .

ـ الجامع لأحكام القرآن .

لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ـ دار الكتب ١٩٤٣م ـ ١٩٥٠م .

ـ الجنى الداني في حروف المعاني .

للحسن بن قاسم المرادي ـ تحقيق د . فخر الدين قباوة وآخر ـ دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

ـ خزانة الأدب ولب لسان العرب .

لعبد القادر بن عمر البغدادي . تحقيق عبد السلام هارون . القاهرة ١٩٥٢م ـ ١٩٥٦م .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ـ الخصائص .

لأبي الفتح عثمان بن جنى ت ٣٩٢ ـ تحقيق محمد علي النجار ـ دار الكتب ١٣٧١هـ ـ ١٣٧٦هـ .

ـ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون .

السمين الحلبي (الإمام شهاب الدين أبو العباس بن يوسف بن محمد بن إبراهيم) ، ٦ أجزاء ، تحقيق : الشيخ علي محمد معوض وآخرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط(١) ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م .

ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني .

لشهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ـ دار الفكر ـ بيروت ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .

ـ شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ومعه حاشية الصبان ، وشرح الشواهد للعيني .

علي بن محمد الأشموني ، ٤ أجزاء ـ عيسى البابي الحلبي ـ القاهرة .

ـ شرح التسهيل .

ابن مالك (جمال الدين محمد بن عبد الله بن الطائي الجياني الأندلسي) تحقيق د . عبد الرحمن السيد وآخر . هجر للطباعة والنشر . مصر . ٤أجزاء في مجلدين ، ط (١) ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م .

ـ شرح التصريح على التوضيح لألفية ابن مالك لابن هشام .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ـ الشيخ خالد بن عبد الله الأزهري ـ مطبعة محمد أفندي مصطفى القاهرة .

ـ شرح المفصل .

ابن يعيش (موفق الدين يعيش ابن علي بن يعيش) ١٠ أجزاء في مجلدين . عالم الكتب ـ بيروت ، مكتبة المتنبي ـ القاهرة .

ـ ظاهرة التأويل في إعراب القرآن الكريم .

د . محمد عبد القادر هنادي ـ مكتبة الطالب الجامعي ـ مكة المكرمة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

ـ القاموس المحيط .

لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي الشيرازي . المطبعة الحسينية المصرية . ط٢ ـ ١٣٤٤هـ .

ـ الكتاب .

سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر) . تحقيق : عبد السلام هارون ـ ٥ أجزاء ـ دار الجيل ـ بيروت ـ ط (١) .

ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل .

للإمام أبي القاسم جار الله الزمخشري ت ٥٣٨ ـ بولاق ١٢٨١هـ .

ـ لسان العرب .

لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ـ دار صادر ـ بيروت .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ـ مجاز القرآن .

لأبي عبد الله معمر بن المثنى التيمي ـ ت ٢١٠ ـ تحقيق د . محمد فؤاد سزكين الخانجي ـ القاهرة ١٩٥٤م ـ ١٩٦٢م .

ـ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات .

لابن جنى ـ تحقيق علي النجدي وآخرين ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٨٦هـ .

ـ المحرر الوجيز في تقسير الكتاب العزيز .

للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ـ ت ٥٤٦ ـ تحقيق المجلس العلمي بفاس ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م .

ـ المساعد على تسهيل الفوائد .

ابن عقيل (بهاء الدين بن عقيل) . تحقيق د . محمد كامل بركات ـ ٤ أجزاء جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة ـ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م .

ـ مشكل إعراب القرآن .

لمكي بن أبي طالب ـ تحقيق ياسين محمد السواس .

ـ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب .

ابن هشام (أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد عبد الله بن هشام الأنصاري المصري) ت ٧٦١ تحقيق : محمد محيي الدين . جزءان ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ١٩٩٢م .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ـ المفصل في علم العربية .

لجار الله محمود بن عمر الزمخشري ت ٥٣٨ ـ حجازي ـ القاهرة .

ـ المقتضب .

لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ، ت ٢٨٥ ـ تحقيق عبد الخالق عضيمة ـ دار التحرير ـ القاهرة ١٣٨٥هـ ـ ١٣٨٨هـ .

ـ المقرب .

ابن عصفور (علي بن مؤمن) تحقيق أحمد عبد الستار الجـواري وآخـر . بغداد ١٩٧١م ـ ١٩٧٢م .

شبكة الألوكة - قسم الكتب